ملاحق الكتاب

١ - تسليمة نسرين*

ولدت تسليمة نسرين فى الخامس والعشرين من أغسطس ١٩٦٢م بمدينة ميمنسنج فى بنجلاديش . وقد حصلت على درجة البكالوريوس من كلية الطب بتلك المدينة ، واشتغلت طبيبة حكومية لعدة سنوات . وبدأت حياتها الأدبية بكتابة الشعر ونشره ، ثم أخذت بعد ذلك تكتب عمودا لعدد من الصحف البنجلاديشية فى ذات الوقت ، إلى جانب الروايات والمقالات أيضاً .

وقد حصلت تسليمة على جائزة ماننذا پوراسكار فى كلكتّا عام ١٩٩٢م ، وجائزة ناتوسابها پورروسكار فى دكا عام ١٩٩٣م .

وبسبب تهديد بعض المتشددين الإسلاميين لها بالقتل فرّت تسليمة نسرين إلى السويد فى أغسطس١٩٩٤م . وكانت قد ظلت مختفية لعدة أشهر من جراء الدعوات المطالبة برأسها ، إذ كانت قد

(*) الوثائق الثلاث التالية من نَشْر " Index on Censorship " . وقد زودنى بها مشكورا أحد طلابى فى الدراسات العليا بآداب عين شمس، وهو الباحث محمد مصطفى الديبسى ، جزاه الله خيرا . وقد قمت بترجمتها من اللغة الإنجليزية .

كتبت مقالا صحفيا دعت فيه إلى وجوب إعادة النظر فى القرآن ، مما أشعل غضب الأصوليين المسلمين ضدها .

وقد رصدت الجماعات الإسلامية المتشددة مكافأة قدرها خمسة آلاف من الدولارات لمن يقتلها . ومن المفروض أن تَمْثُل أمام المحكمة فى بنجلاديش بدعوى إيذائها للشعور الدينى لدى المسلمين . وقد نشرت صحيفة النيويورك تايمز عن ناطق بلسان التحالف المكون من ثلاث عشرة جماعة أصولية قوله : « إذا لم تقم الحكومة بإعادتها إلى البلاد ومحاكمتها فإن الشعب سوف يسقط هذه الحكومة ويتولى محاكمة زعمائها لما اقترفوه من خيانة للإسلام ».

وقد ردت تسليمة على ذلك بأن أقوالها قد حُرِّفت ، لكنها أضافت قائلة : « لا بد من إحداث تغييرات فى القوانين الجامدة التى تمنع كثيرا من النساء فى بنجلاديش من العمل خارج البيت » .

٢ - حقوق النساء

بقلم تسليمة نسرين

أحب أن أعبر عن عرفانى الصادق بالجميل لمنظمى هذا المؤتمر على دعوتهم لى لأكون بينكم هنا .

لقد أقبلت من بنجلاديش البعيدة . وبرغم أن عدد سكان ذلك البلد يبلغون مائة وعشرة ملايين نسمة فإنهم ليسوا فى الواقع سوى أمة صغيرة فى شبه القارة الهندية . إن بنجلاديش هى إحدى أفقر عشرين دولة فى العالم ، لكن اللغة البنغالية والشعب البنغالى أبعد ما يكونان عن الفقر والحرمان .

وقد أُنشئت باكستان الشرقية ، التى أصبحت بعد ذلك بنجلاديش ، فى ١٩٤٧م ، عام الحصول على الاستقلال ، وذلك باقتطاع جزء من المنطقة التى تتحدث البنغالية . وكانت باكستان الشرقية جزءا من باكستان الكبرى ، أما الجزء الآخر فكان يقع على بعد آلاف الأميال غربى الهند . وكانت هذه الدولة الفريدة والمستحيلة ثمرة من ثمار الاستعمار الأجنبى . وبتقسيم الهند خلق المستعمرون هذه الدولة الفريدة للأقلية المسلمة فى شبه القارة الهندية . وبرغم أن

هذه الأمة قد أُنشئت على أساس من الدين فإن الناس فى باكستان الشرقية سرعان ما تنبهوا إلى أن المسلمين فى غرب باكستان يفرضون سلطانهم الاستبدادى على مسلمى شرق باكستان . ليس ذلك فقط ، بل إن باكستان الغربية قد حاولت أن تفرض سيطرتها على لغة باكستان الشرقية وثقافتها باسم الدين . ونتيجة لهذا الظلم انفجرت الثورة ، التى تبعتها حرب التحرير . وفى النهاية برزت بنجلاديش أمة مستقلة ذات سيادة .

وكنت فى التاسعة من عمرى حينذاك . ولا تزال ذكريات طفولتى تمتلئ بأحداث الحرب والميلاد الدموى المؤلم للأمة الجديدة . وقد نذرت نفسى منذ ذلك الحين لخدمة الهدف السياسى السامى المتمثل فى بنجلاديش المستقلة .

ولقد عرفتُ بكل فخر أن بنجلاديش هى وطن البنغاليين . ورغم أن المسلمين يشكلون الأغلبية فى بنجلاديش فإن هناك ناساً من ديانات أخرى يعيشون إلى جانبهم فى ذلك البلد من بوذيين ونصارى وهندوس . إن بنجلاديش بلد ذو ثقافة مختلطة ، وهذه الثقافة هى فى الحقيقة من صنع شعب ينتمى إلى عدة ديانات .

ولو أنكم أضفتم إليهم أولئك البنغاليين الذين يعيشون فى الهند

لارتفع عدد الناس الذين يتحدثون البنغالية إلى نحو مائتى مليون . وعندما كبرتُ ووعيتُ أصبحتُ أدرك بفخرٍ قيمة التراث الغنى لهذه اللغة . إن الأدب البنغالى المكتوب يرجع على أقل تقدير إلى ألف سنة مضت . وفوق ذلك فإن هذه اللغة ، مثَلها فى هذا مثَل أنهار بلادى ، تتدفق منذ مئات السنين . وفى الواقع هناك فيضان من الإنتاج الأدبى البنغالى منذ القرن التاسع عشر . وأنا هنا أشير إلى أدب البنغالَيْن كلتيهما ، لأننى رغم التقسيم السياسى والجغرافى أنظر إلى الثقافة والأدب البنغاليين على أنهما شىء واحد لا يقبل الانقسام .

وعندما أتأمل كنوز الأدب البنغالى الحديث بعظمته وثرائه وتنوعه فإننى لا أستطيع أن أعد نفسى أكثر من مجرد كاتبة عادية جدا . وأعتقد أنكم تعرفون أن الكاتب البنغالى العظيم رابندرانات طاغور قد فاز بجائزة نوبل لعام ١٩١٣م ، ثم لم يحدث أن فاز بهذه الجائزة أحد ممن يكتبون بالبنغالية . لكننى أستطيع أن أؤكد لكم أننا نقرأ منذ الثلاثينات من هذا القرن أعمال كثير من الشعراء والروائيين البنغاليين الذين يضاهون أعظم الأدباء فى العالم . وإليكم الآن أسماء عدد منهم ممن يُعَدّون عظماء بكل المقاييس ، وهم تاراشنكار بنديوباديای

وبيبهوتيبهوسن بنديوبادياى ومانك بنديوبادياى وسيد ولى الله وقاضى نصر الإسلام والشاعر چيباناننداا . وهناك كثير من الشعراء والروائيين وكتاب القصة القصيرة الجادين الذين يكتبون بالبنغالية حاليا والذين يحتل بعضهم مكانة كبيرة فى نظرى وليست لدىّ الشجاعة لمقارنة نفسى بهم . لكننى بكل تواضع أستطيع أن أقول عن نفسى إننى ، وإن كنت كاتبة صغيرة بالقياس إلى غيرى ، يكفينى أننى مختلفة عنهم. فأنا لست شيئا آخر غيرنفسى . إننى وحيدة . إننى مسافرة تعانى من الشعور بالوحدة . إننى أسير وحدى فى طريقى الخاص بى . وهأنذى أرى أن رحلتى الموحشة قد أتت بى إلى هذا البلد البعيد .

والحق أنه لم يَدُر بخَلَدى أننى سأكون كاتبة فى يوم من الأيام . لقد بدأت أقرض الشعر منذ الطفولة ، وكان أخى الأكبر يصدر مع أصدقائه مجلة شعرية مما يسمى مجلة صغيرة . وقد نشرتُ إنتاجى أول ما نشرته هناك فى تلك المجلة ، لكن ليس فى هذا أى شىء غير عادى . لقد كتب أحد الأجانب ذات مرة : فى دبلن كل الناس روائيون ، وفى كلكتُا كل الناس شعراء . وهو ما يصدق كذلك على دكا عاصمة بنجلاديش ، التى يقوم إلى جانبها عدد آخر من المدن

البنغالية الكبرى . وكانت عيناى تتفتحان شيئا فشيئا فى الوقت الذى كنت مستمرة فيه فى كتابة الشعر . وكنت أرى الفرق الكبير بينى وبين أخى ، إذ كانت القيود تحيط بى من كل جانب . وهذا الفرق موجود فى كل مكان بين الأولاد والبنات الذين يدرسون معاً فى الكليات .

ثم بدأت أدرس الطب . ووالدى هو أيضاً طبيب نذر حياته للعلم والمنطق . وهو الذى ألهمنى دراسة الطب الحديث ، تلك الدراسة التى جعلت منى فتاة عقلانية . وهنا بدأت فى إلقاء الأسئلة . ورأيى أنه لايصح الحكم على أى سؤال بأنه لا يجوز . وفوق ذلك فإن من حقى أن أطرح ما أشاء من الأسئلة حول أى موضوع . وقد آلمنى ما كانت تعانيه النساء المريضات فى المستشفى من سوء التغذية ، فضلا عن جهلهن وخوفهن ، فرأيت أنه لابد لى من عمل شىء ما . لكننى كنتُ محرومة من جميع الحقوق ومن الحرية . وقد ارتبط هذا السؤال الأساسى بأسئلة أخرى كثيرة ، مثل : أليس للنساء الحق فى التعليم ؟ أليس لهن الحق فى التمتع بالصحة الطيبة والحياة السعيدة ؟ أم تراهن لم يُخْلَقْن إلا للحمل والولادة ، وليس لحياتهن من معنى سوى خدمة الذكور ؟ أمن المعقول أنهن قد حُرِمْن من كل إحساس خاص بالبهجة والمسرة والتطلع ؟

لقد عبرت فى شعرى ونثرى وكل نتاجى الأدبى عما قاسته المرأة من حرمـان وما وقع عليهـا من استـغلال طوال قـرون فى ظل هذا الوضع ، وكان صوتى عاليا . وهذه هى الجريمة التى أدّت بى إلى مغادرة وطنى . ولكن على الرغم من أننى قد أتيت إلى الغرب بطريقة شرعية وبإذن من الحكومة ، فإننى لا أعرف متى يمكننـى العـودة إلى بلادى . ذلك أن القـضـيـة المرفـوعـة ضـدى لا تزال قـائمـة ، وكذلك حملة الكراهية التى أثارتها ضدى الجماعات الأصولية . وهم حتى الآن مازالوا يطالبون بإعـدامى شنقاً أمـام الملإ .

وحجتـهم فى ذلك أننى قد آذيت المشاعر الدينية لدى غالبية الشعب . وقد رفضوا أن يستمعوا إلى كلماتى البسيطة ، وحاولوا على العكس من ذلك إثارة الشعب المعروف بنزعته الدينية ضدى ، وذلك باتهامى بأنى قلت ما لم يكن ينبغى أن أقوله . لقد كنت أقول دائما إن من غيـر الممكن تغيير قَدَر المرأة مادمنا نتـمـسك بالقـيـود التى تفرضها عليها الكتب المقدسة . ومن رأى الكثيرين أنه لا بد من تغيير الشريعة ، لكننى أرى أنه لا يمكن عمل أى شىء ذى بال عن طريق تعديل التشريعات الدينية . إننى أريد قانونا مدنيا موحّدا يطبّق على الرجال والنساء جميعا .

والحق أنه لا يوجد أى غموض أو شكّ فى كلامى عن الدين والكتب المقدسة . وإذا كنت أنا وكثيرون غيرى نستطيع أن نرفض النظام الدينى ونرى هذا الرفض حقًا من حقوقنا ، فإن لغيرنا أيضا الحق فى أن يتمسكوا بأديانهم . لكن هذا شىء ، واستغلال الدين فى إرهاب أصحاب الديانات الأخرى والانحطاط بالمرأة إلى مرتبة الأَمَة هو شىء آخر تماما.

والواقع أن ثورتى إنما تنصب على هذا اللون من « التشدد الدينى » كما يسمونه . وهناك مثل قديم يقول إن الشيطان نفسه يستشهد فى كلامه بالكتاب المقدس . لكننى اكتشفت أن الأصوليين لايرضون بمجرد الاستشهاد بالكتب المقدسة . إنهم يجعلون من الدين سيفا يمتشقونه لتجريد المرأة من إنسانيتها وحقوقها . والحق أن اضطهاد النساء فى بلادى يتم الآن باسم الدين على أشكال مختلفة . إننا نعرف ذلك كله ، ونرى كيف أن النساء يتساقطن واحدة وراء الأخرى ضحايا لفتاوى المشايخ ، الذين يعزفون على أوتار كثير من آيات القرآن للإبقاء على النساء مكبّلات خلف الحجاب . وهناك أكثر من ألف منظمة غير حكومية تعمل فى بنجلاديش وتقوم بأنشطة تنموية . وتساهم كثير من المؤسسات الأجنبية بسخاء فى أموال هذه

المنظمات . وقد استفادت المرأة الريفية أيما استفادة من هذا النشاط ، لكن المشايخ يحرّضون الشعب منذ فترة ضد هذه المنظمات . بل إنهم قاموا أيضا بحرق المدارس ومنع النساء من الخروج من المنازل . وهذا الظلم يعود بنا إلى القرون الوسطى ، وهو ظلم موجّه أيضا إلى الكتّاب الذين يؤمنون بالتسامح الديني ، ويقفون في وجه الاضطهاد الذى يمارَس باسم الإسلام ضد أصحاب الديانات الأخرى ، ويحبّذون الدولة العلمانية ، ويعملون لبناء مجتمع حديث قائم على امتزاج الثقافات . ولست بالنسبة للمشايخ أكثر من حجة يتخذونها لفرض مواقفهم وآرائهم . وهم يهدفون إلى جعل بنجلاديش دولة دينية يكون فيها جميع الأقليات مواطنين من الدرجة الثانية .

وهذه الظاهرة قد أزعجتنى إزعاجا شديدا . وفى نوبة من نوبات الألم العميق قمت بتأليف كتيّب يسمى « لاجا » (أى العار) ، وكان ذلك فى بداية عام ١٩٩٣م . ولهذا الكتاب قصة ، ففى ديسمبر ١٩٩٢م وقع حادث بربرى فى الهند ، إذ هدم الأصوليون الهندوس مسجداً يعود تاريخه إلى أربعة قرون خلَتْ ، مما أدى إلى وقوع مصادمات بين الهندوس والمسلمين مات فيها الكثيرون . وعلى الجانب الآخر من الحدود ، أى فى بنجلاديش ، بدأ

اضطهاد الأقلية الهندوسية ردًا على ما حدث . وقد رأيت أن هذا وضع لا يمكن احتماله ، وأنه لا بد من الاحتجاج ، إذ لا يصح أن يكون الرد على البربرية ببربرية مثلها . ويصوّر الكتيّب المذكور تجربة إحدى الأسر الهندوسية التى تعيش فى بنجلاديش ، كما أنه يقدم أيضا بعض الحقائق والأرقام المتعلقة باضطهاد الأقليات فى بلادى . وقد رفض كثير من الناس فى بنجلاديش أن يروا إلى أى مدى بلغ بى الألم واليأس ، هذا المدى الذى دفع فردا مثلى من الأغلبية إلى تسجيل ما تتعرض له الأقلية من مصائب وبلايا ، وبدأوا يتهموننى بأننى إنما ألّفت هذا الكتاب خدمةً لأهداف الأصوليين الهنود . لكن الحقيقة العارية هى أننى قد هاجمت فى هذا الكتاب جميع الأصوليين من كل الأقطار ، أولئك الذين يضطهدون باسم دين من الأديان أتباعَ دين آخر . إن « العار » فى الواقع هو عار على بلدى ، وعلى حكومة بلدى ، وعلى مجتمعى ، وعلىّ أنا أيضاً . ذلك أننا قد انحرفنا جميعا عن مثلنا الأعلى . انحرفنا عن إنسانية الإنسان . إن البلد الذى كان عند بروزه إلى الوجود دولة علمانية قد عاد فجعل من الإسلام دينه القومى ، وإن الوطنية التى كان ينبغى أن تحمى الثقافة البنغالية المشتركة تضع نفسها الآن فى خدمة الأصولية . لقد غضب منى الأصدقاء والمثقفون « التقدميون » بسبب هذا الكتاب ،

وكان سؤالهم هو : هل نحن جميعا متعصبون وطائفيون ؟ والجواب : كلا على الإطلاق. وإننى أعتقد أن الأغلبية فى بنجلاديش هى أغلبية طيبة ومتسامحة وغير طائفية . لكن بعد ذلك كله كيف يمكننا أن ننكر أننا ، رغم الجهود المكثفة ، لم نستطع أن ننقذ امرأة هندوسية أو نمنع أسرةً بنجلاديشية من مغادرة البلاد ؟ أليس هذا عاراً علينا ؟

إننى لا أريد أن آخذ كثيرا من وقتكم ، لكن قبل أن أنهى حديثى أحب أن ألفت انتباهكم إلى بعض الحقائق . لقد سُحِب جواز سفرى منى ، كما صودر كتابى « العار » . لكننى ، رغم مصادرته فى بنجلاديش ، أشعر أن الكثيرين يعدونه تصويرا حقيقيا لانقسام المجتمع على أساس أغلبية وأقلية . أما المشايخ فقد أصدروا ضدى الفتاوى ، وأعلنوا أكثر من مرة عن جوائز مالية لمن يأتيهم برأسى ، كما طالبوا بقتلى مرارا فى دكا وغيرها من المدن . وقد ظلت الحكومة لوقت طويل تشاهد فى صمت ما يجرى أمامها ، ثم بادرت بعد ذلك بإصدار أمر بالقبض علىّ ، مما اضطرنى إلى الاختباء . ولكن فى النهاية كان لابد من أن أسلّم لهم نفسى . وقد أفرجت الحكومة عنى بكفالة وسمحت لى بمغادرة البلاد . وأنا الآن حرة . والفضل فى هذه الحرية إنما يعود إلى الكتّاب والمثقفين فى كثير من البلاد ،

وكذلك إلى كثير من المنظمات النسائية التى حاربت من أجلى بكل ضراوة . والحقيقة أن الحب والعطف اللذين أفاضهما هؤلاء وأولئك على كاتبة صغيرة مثلى هو شىء لا نظير له .

وأخيرا فرغم أنى لستُ من أصحاب النظريات ، فإن السبب وراء انتشار الأصولية فى أرجاء العالم هو أمر يدعو إلى التأمل والتحليل . وليس الإسلام هو القوة الوحيدة فى هذا المجال . وفى البلاد المسلمة أيضاً لا تنقطع المناقشات والبحوث حول هذا الموضوع ، حيث يخضع كل شىء ، من التاريخ إلى الجغرافيا إلى الاقتصاد إلى السياسة إلى الثقافة ، للمراجعة والاختبار . ومهما يكن الأمر فلست بحاجة إلى القول بأن الأصولية ليست هى القوة الدافعة الوحيدة فى الأقطار الإسلامية ، ولا حتى فى جنوب شرق آسيا . ومن ثم فإننى غير مستعدة للاقتناع بما يقال من أن ما نشهده الآن هو الطبعة الحديثة للصراع القديم بين النصرانية والإسلام . وأيا ما يكن السبب فإننى أعتقد أن الأصولية الدينية ، مثَلها فى ذلك مثَل قوى الظلام الأخرى جميعا ، شر وبلاء . ولا بد من التصدى لها ومحاربتها أيا كان الدين الذى تضطهده .

وهأنذى أقطع على نفسى العهد أمامكم بأن أستمر فى كفاحى

من أجل حرية المرأة وتحررها وتقدمها وتطورها . إننى لا أدرى مدى نصيب شعرى من الشاعرية ، ولا مدى نصيب نثرى من الجودة ، ولا مدى نصيب رواياتى من الإتقان ، لكننى أدرى بالتأكيد أننى لم أكتب ما كتبت بقلمى وحده ، بل وضعت فيه عصارة روحى . إننى لا أدرى أتصل كلماتى إلى قلوب الآخرين أم لا . لكننى بالتأكيد أعرف هذا الذى سأقوله معرفة اليقين ، وهو أن النساء فى بلادى يدركن أننى إنما كتبتُ ما كتبت من أجلهن . من أجل هؤلاء النساء الخُرْس البُكم اللائى تتمزق قلوبهن ولكن شفاههن تعجز عن التعبير بالكلمات .

صقيع فى روحى

بقلم تسليمة نسرين

ها هى ذى سنة قد مرت وزاد عمرى سنة أيضا ، لكن السنة الجديدة لم تأتنى بأى وعدٍ أو أمل فى الحرية . إن المنفى يبدو وكأنْ لا نهاية له . ترى إلى متى سأظل أحيا حياة الغربة فى بلد غريب ؟ الواقع أننى لا أستطيع أن أرى أى سبب للشعور بالأمل فى الغد الآتى .

والواقع أنه لو طُلِب منى أن أتمنى أمنية واحدة لكان جوابى على الفور : أريد العودة إلى بلادى بنجلاديش . لقد مرت سنوات كثيرة منذ أن غادرت أرض الوطن . سنوات كثيرة منذ أن ألقيت لآخر مرة بنظرة على وجهه الجميل . وأحيانا ما أشعر أننى على شفا الجنون ، أما بالنسبة لمن يحكمون علىّ من ظاهر أحوالى فإننى لا بد أن أكون سعيدة راضية ، إذ لست أشعر بأى قلق من جهة الطعام أو الملبس أو المأوى ، وذلك على عكس معظم الناس فى بنجلاديش . كذلك لم تعد حياتى مهدّدة كما كان الحال قبلا ، فلا فتوى ولا مظاهرات ضدى . ومع هذا فلم يعد هناك ذلك التدفق العفوى فى كتاباتى .

إن ناساً كثيرين جدا هنا يحيطوننى بالرعاية والصداقة ، لكننى لا أستطيع القول بأننى سعيدة ، فقد اقتُلِعَتْ جذورى من التربة التى نبتُّ فيها ونَمَوْتُ حتى أصبحت ما أنا عليه الآن . إن أوروبا هى « بلاد الأحلام » فى نظر الكثيرين . ولكن أى شىء أنا هنا ؟ أنا إنسانة بلا جذور فى هذه الأرض الغريبة . إنسانة ليس لديها شعور بالانتماء . مجرد نبات آخر من البلاستيك فى زهرية مطلية لا تتفتح فيها أزهار . بل إن البراعم نفسها لتصوّح قبل أوانها بوقت طويل .

ومع ذلك فإننى أحس فى أعماقى بالرغبة فى الخلق ، وفى الإزهار مرة ثانية . أريد أن أعود من جديد إلى الكتابة . لكننى فى العام المنصرم لم أستطع أن أكتب شيئا غير القصائد . قصائد نابعة من دموع روحى المحبطة وتنهداتها . لقد استطعت فقط أن أصور اشتياقى إلى أن أصبح طائرا حتى أطير عائدة إلى وطنى الحبيب . إننى أذكر كيف أن الطيور فى الشتاء تقوم برحلاتها الطويلة قادمةً من بلاد باردة سحيقة مثل سيبيريا إلى بنجلاديش سعيا وراء الدفء وضوء الشمس . أنا أيضا كنت رهينة برودة الحبس الشتائية فى بلادى حينما صدرت الفتوى ضدى وأُعلن عن مكافأة لمن يأتى برأسى . لكن أوروبا هى التى أسبغت علىّ الحماية وأنقذت حياتى ، ولن أستطيع أبدا نسيان هذا الكرم الدافىء الذى أبدته نحوى .

لكن قلبى مع ذلك ما زال مشتاقا إلى العودة . إلى أن أبدأ حياتى من جديد كاتبةً فى البيئة التى أِلفتُها وبين أبناء وطنى الذين أعرفهم . إلى أن أجلس خلف مكتبى القديم وفى يدى قلمى . ترى أتظل بنجلاديش هى الصقيع الأبدى الذى علىّ أن أقاسى آلامه ؟